بسم الله الرحمن الرحيم

أصول الدعوة إلى الله
سبحانه وتعالى

المقدمة:

الحمد لله نـور السـماوات والأرض الـذي أرسل رسـوله محمـداً صـلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً.

والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، الذي بعثه الله بالحق إلى قيام الساعة، وجعل أمته خير أمة أخرجت للنـاس يـأمرون بـالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله..

وبعد،،،

فلما كانت الدعوة إلى الله هي المهمة التي كلف الله بها رسوله صلى الله عليه وسـلم قــال تعـالى: {يا أيها المـدثر* قم فأنـذر} وكلف الله بها هـذه الأمة كما قال تعالى: {كنتم خـير أمة أخـرجت للنـاس تـأمرون بـالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}.

فـأنني أحببت أن أجمع رسـالة قصـيرة توضح لكل مسـلم مكلف بالـدعوة أصول هذه الدعوة، وكيف يدعو إلى الله؟

وذلك حتى تكون دعوته على بصيرة كما قال تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين}..

وإني لأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذه الرسالة، ويكتب لها القبـول، وأن يقوم المسلمون جميعاً بـواجب الـدعوة إلى الله على بصـيرة ليشـرق نـور الله في الأرض كلهـا، ويعلو دين الله على كل الأديـان. إنه هو السـميع البصير والعلي العظيم..

وكتبه

عبدالرحمن بن عبدالخالق

الكويت

في 27 من ذي الحجة 1416هـ

الموافق 14 من مايـو 1996م

أولا: حكم الدعوة إلى الله:

الدعــوة إلى الله واجب كفـائي على الأمة الإسـلامية جميعها لقوله تعـالى: {كنتم خـير أمة أخـرجت للنـاس تـأمرون بـالمعروف وتنهـون عن المنكر وتؤمنون بالله.. الآية} (آل عمران:110).

وقوله تعالى: {ادع إلى سبيل ربك} (النحـل:125).. وقوله تعـالى: {يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبـدوا ربكم وافعلـوا الخـير لعلكم تفلحـون، وجاهـدوا في الله حق جهـاده هو اجتبـاكم وما جعل عليكم في الـدين من

حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير} (الحج:77-78).

ويتعين الوجوب على الإمام لقوله تعالى: {الذين إن مكانهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور} (الحج:41) فجعل سبحانه وتعالى شرط التمكين إقامتهم للصلاة وأداءهم للزكاة وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

ولقوله صلى الله عليه وسلم: [فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته] (متفق عليه) والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله أولى واجباته.

ثم أولى العلم من المسلمين الذين أخذ الله عليهم الميثاق ببيان العلم وعدم كتمانه كما قال تعالى: {وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه..} (آل عمران:187).

وهذا تحذير من الله لهذه الأمة.. وقال تعالى: {إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون* إلا الذين تابوا، وأصلحوا، وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم} (البقرة:159-160).

وقال تعالى: {إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم} (البقرة:174).

وقال صلى الله عليه وسلم: [من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار] (رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع 6284).

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله: "أما بالنسبة لولاة الأمور، ومن لهم القدرة الواسعة فعليهم من الواجب أكثر، وعليهم أن يبلغوا الدعوة إلى ما استطاعوا من الأقطار" (الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ص17).

ويقول أيضاً: "ونظراً إلى انتشار الدعوة إلى المبادئ الهدامة وإلى الإلحاد وإنكار رب العباد، وإنكار الرسالات، وإنكار الآخرة، وانتشار الدعوة النصرانية في الكثير من البلدان وغير ذلك من الدعوات المضللة نظراً إلى هذا، فإن الدعوة إلى الله عز وجل اليوم أصبحت فرضاً عاماً وواجباً على جميع العلماء وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام، فرض عليهم أن يبلغوا دين الله" (الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ص17).

ثانيا: فضل الدعوة إلى الله:

والدعوة إلى الله فضلها عظيم فهي مهمة الرسل والأنبياء، وهم أشرف الخلق وأكرمهم على الله، وهم الذين اختارهم الله لهداية البشر، والعلماء هم ورثة الأنبياء، وقيامهم بالدعوة أعظم تشريف لهم.. قال تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين} (يوسف:108).

ومن فضل الـدعوة إلى الله أن [من دعا إلى هـدى كـان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان له من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً] (رواه مسلم).

والـدعوة إلى الله هي الـتي من أجلها شـرّف الله بها أمة الإسـلام جميعـاً فجعلها بـــذلك خـــير أمة أخـــرجت للنـــاس، لأنها حملت رســـالة الله إلى العالمين، وجاهدت بها كل الأمم فهم خير الناس للناس.

ثالثا: أهداف الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى:

* الأهداف العامة:

إرشـاد النـاس إلى صـراط الله المسـتقيم، ودينه القـويم، وإخـراجهم من الظلمـات إلى النـور، ومن الشـرك إلى التوحيـد، ومن الجـور والظلم إلى العدل والرحمة والإحسان.

والأدلة على هذا كثيرة جداً منها:

قوله تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير} (آل عمران:110).

وقوله تعالى:{وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم} (المؤمنون:17).

وقوله تعالى: {وإنك لتهدي إلى صـراط مسـتقيم* صـراط الله الـذي له ما في السموات وما في الأرض إلا إلى الله تصير الأمور} (الشورى:52-53).

وقوله تعالى: {ادع إلى ربك} (الحج:67).

وقال تعالى: {قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو} (الرعد: 36)..

وقوله تعالى:{المـر* كتـاب أنزلنـاه إليك لتخـرج النـاس من الظلمـات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد} (إبراهيم:1-4).

وأمة الإسلام التي هي خير الأمم قد أخرجها الله لهذه الغاية فقال ســبحانه وتعـالى: {كنتم خـير أمة أخـرجت للنـاس تـأمرون بـالمعروف وتنهـون عن المنكر وتؤمنون بالله} (آل عمران:110)..

ولم يشرع الجهـاد بالكلمة والمـال والسـيف إلا لتحقيق هـذه الغايـات، وقد أجمل ربعي بن عـامر رضي الله عنه مهمة أمة الإسـلام في الجهـاد، فقـال عندما أرسله سـعد بن أبي وقـاص لرسـتم قائد الفـرس، فقـال له رسـتم: لمـاذا جئتم؟ فقـال: إن الله ابتعثنا لنخـرج من شـاء من عبـادة العبـاد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديـان إلى عـدل الإسلام. (البداية والنهاية 7/39).

أما المقصود من الدعوة والهدف منها:

فالمقصود والهدف الأعظم من الدعـوة هو إخراج الناس من الظلمات إلى النـور وإرشـادهم إلى الحق حـتى يأخـذوا به وينجـوا من النـــار، وينجـوا من غضب اللــه، وإخـراج الكـافر من ظلمة الكفر إلى النـور والهـدى، وإخـراج الجاهل من ظلمة الجهل إلى نـور العلم، والعاصي من ظلمة المعصـية إلى نور الطاعـة، هـذا هو المقصـود من الـدعوة كما قـال جل وعلا: {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور} (البقرة:257).

فالرسل بعثوا ليخرجوا من شاء الله من الظلمات إلى النور، ودعـاة الحـق كذلك يقومون بالدعوة وينشـطون لها لإخـراج من شـاء الله من الظلمـات إلى النور، ومن العذاب إلى المغفرة والجنة، ومن طاعة الشيطان، والهوى إلى طاعة الله ورسوله.

* الأهداف التفصيلية:

1) إيجاد الأمة الصالحة الداعية إلى الله المجاهدة في سبيله:

من أول أهداف الدعوة العمل لإخراج الأمة الصالحة التي تعبد الله سـبحانه وتعالى. قال سبحانه وتعالى: {هو الذي بعث في الأمـيين رسـولاً منهم يتلو عليهم آياته، ويـزكيهم، ويعلمهم الكتـاب والحكمـة، وإن كـانوا من قبل لفي ضلال مبين} (الجمعة:2)..

وقال تعالى: {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كـانوا من قبل لفي ضلال مبين} (آل عمران:164)..

وقـال تعـالى: {هو الـذي أرسل رسـوله بالهـدى ودين الحق ليظهـره على الدين كله وكفى بالله شهيداً} (الفتح:28).

والأمة الصـالحة: هي مجمـوع الأفـراد الصـالحين المجتمعين على الهـدى والصراط المستقيم.

2) إيجاد المؤمن الصالح:

وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: [لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خـير لك من أن يكون لك حمر النعم] (متفق عليه).

وقوله صـلى الله عليه وسـلم: [يجيء النـبي ومعه الـرجلان ويجيء النـبي ومعه الثلاثـة، وأكـثر من ذلـك.. الحـديث] (رواه أحمد وابن ماجه وصـححه الألباني في صحيح الجامع 8033).

فهداية مؤمن ولو واحد تحقيق لهدف عظيم من أهداف الرسالات.

3) إقامة الحجة لله على الجاحدين والكافرين:

والدليل على ذلك قوله تعالى: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعـده، وأوحينا إلى إبـراهيم وإسـماعيل وإسـحق ويعقـوب والأسـباط وعيسى وأيـوب ويـونس وهـارون وسـليمان وآتينا داود زبـوراً* ورسـلاً قد قصصـــناهم عليك من قبل ورســـلاً لم نقصصـــهم عليك وكلم الله موسى تكليمـاً* رسـلاً مبشـرين ومنـذرين لئلا يكـون للنـاس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً} (النساء:163-165).

4) النهي عن الفساد في الأرض:

وذلك لقوله تعالى: {فلولا كان من القـرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم.. الآية} (هود:116).

والنهي عن الفسـاد في الأرض عصـمة للجميع من عقوبة الله العاجلة في الـدنيا كما قـال تعـالى: {وما كنا مهلكي القـرى إلا وأهلها ظـالمون} (القصص:59)..

وكل ما نهى الله عنه فهو من الفساد في الأرض قال تعالى: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون} (النحل:90).. وكل الرسل الذين أرسلهم الله نهوا أقوامهم عن الفساد والطغيان بعد أمرهم إياهم بتوحيد الله وعبادته وطاعته.

* فنوح عليه السلام نهى قومه عن الشرك بالله، وعبادة الصالحين، وهو أعظم الفساد والشر ونهاهم عن صد المؤمنين عن سبيل الله، واحتقارهم وازدرائهم..

* وهود عليه السلام نهى قومه عن الطغيان، والعتو في الأرض بإهدار الأموال في العبث والضياع، كما قال تعالى:{أتبنون بكل ريع آية تعبثون* وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون} (الشعراء:27-28).

* وصالح عليه السلام أمر قومه بعبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما يعبد من دون الله ثم نهاهم عن الإفساد في الأرض بالصد عن سبيل الله، وإيثار الحياة الدنيا على الآخرة فقال لهم: {فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين} (الأعراف:74).. وقال لهم: {أتتركون في ما ههنا آمنين* في جنات عيون* وزروع ونخل طلعها هضيم* وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين* فاتقوا الله وأطيعون* ولا تطيعوا أمر المسرفين* الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون} (الشعراء:146-152).

* وشعيب عليه السلام نهى قومه بعد الشرك بالله قائلاً: {.. فأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين* ولا تقعدوا بكل صراط توعدون، وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً} (الأعراف:85-86)..

ولذلك فإن سبب ما يحصل لأهل الأرض من فساد أحوالهم ودنياهم هو المعاصي، ولذا كان من أعظم أهداف الدعوة إزالة هذا السبب.

* ورسالة رسولنا الخاتمة جاءت بالأمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر، والبعد عن كل فساد في الأرض حتى لو كان عدواناً على حرث أو زرع كما قال تعالى: {ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد} (البقرة:204-205).

5) عمارة الأرض بالخير والعمل الصالح:

من أهداف الدعوة إلى الله عمارة الأرض بالخير، والعمل الصالح.. قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون} (الحج:77).. وقال تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير} (آل عمران:104)..

و(الخير): اسم جامع لكل نفع فالخلق الحسن خير، والبر والصلة والإحسان خير، وإعمار الأرض بالزرع النافع خير كما قال صلى الله عليه وسلم: [إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها] (رواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني في الجامع 1424).

ولا شك أن دعـــوة الرســـول صـــلى الله عليه وســـلم قد اســـتفاد منها كل العالمين حتى الـذين لم يؤمنـوا بالإســلام كما قـال سـبحانه وتعـالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} (الأنبياء:107) فإن تعاليم الإسلام التي جاءت بالفضـيلة والإحسـان، ونبذ الظلم، وإقامة العـدل قد اسـتفاد منها كثـير من الأمم والشـعوب، وإن لم تـدخل في الإســلام، وقد أخــذت كثــير من دول العالم نظام الإسلام في المعاملات، فاستفادت بذلك فائدة دنيوية..

وقد جـاء الإسـلام برفع الظلم عن النسـاء، والعبيـد، والضـعفاء، فاسـتفاد النـاس من ذلـك، وجعل الإسـلام حقوقـاً للأسـرى، ونظامـاً في الحـروب استفاد منه الكفار أيضاً.

فقد جـاء الإســلام في وقت عم فيه الجهل والظلم، فغـير نظـرة النــاس عمـومهم نحو المـرأة والعبـد.. فـأزال الفـروق الجاهلية الـتي كـان النـاس يتفاضلون بها، ويقتتلون عليها كـاللون، والـوطن والأصل وأعلن في النـاس جميعاً أنهم لآدم وآدم من تراب..

قـــال تعـالى:{يا أيها النـاس إنا خلقنـاكم من ذكر وأنـثى وجعلنـاكم شـعوباً وقبائل لتعـــارفوا إن أكـــرمكم عند الله أتقـــاكم إن الله عليم خبـــير} (الحجرات:13).

وقد استفاد الناس من هذا التعاليم ولو بعد حين..

رابعا: أركان الدعوة إلى الله:

أركان الدعوة إلى الله ثلاثة هي:

1) المدعو إليه: وهو دين الإسلام الذي يراد دعـوة النـاس إليه وهو سـبيل الله، وصراطه المستقيم.

2) الداعي: هو القائم بأمر دعوة الناس.

3) المدعو: وهو من يراد دعوته وهم الناس جميعاً بوجه عام وأهل الإسلام بوجه خاص.

الركن الأول: المدعو إليه:

الأصول العامة للركن الأول.

1) لا يدعي إلا إلى الإسلام:

الركن الأول في الدعوة إلى الله هو دين الإسلام الـذي يـراد دعـوة النـاس إليه، وحملهم عليه ودين الإسلام هو سـبيل الله وصـراطه المسـتقيم. قـال تعالى: {ادع إلى سبيل ربك} (النحل:125).

وقـــال: {اهــدنا الصــراط المســتقيم* صــراط الــذين أنعمت عليهم غــير المغضوب عليهم ولا الضالين} (الفاتحة:6-7)..

وقال تعالى:{قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة} (يوسف:108).

وقال تعالى: {وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين} (القصص:87).

وقـال: {وإنك لتهـدي إلى صـراط مسـتقيم* صـراط الله الـذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور} (الشورى:52-53).

فالدعوة إلى الله هي الدعوة إلى توحيده والإيمان به، والدخول في دينه وصراطه المستقيم، وشرعه القويم، وهو دين الإسلام الذي بعث به خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم..

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا" (مجموع الفتاوى 15/157).

2) الإسلام هو كتاب الله وسنة رسوله، وما أجمعت عليه الأمة:

والإسلام هو ما يتضمنه كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي وردتنا بطريق صحيح.. فهذا هو الحق الذي لا شائبة فيه، ولا يتطرق إليه خلل.

ثم ما أجمعت عليه الأمة كلها لأن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، كما قال صلى الله عليه وسلم: [لا تجتمع أمتي على ضلالة].

وما سوى ذلك من رأي واجتهاد، فإنه يصيب ويخطئ، ولا يجوز حمل الناس على قول أحد إلا ما وافق كتاب الله وسنة رسوله.

وقال شيخنا وأستاذنا الشيخ عبدالعزيز بن باز -حفظه الله-: "أما الشيء الذي يدعى إليه ويجب على الدعاة أن يوضحوه للناس كما أوضحه الرسل عليهم الصلاة والسلام، فهو الدعوة إلى صراط الله المستقيم، وهو الإسلام، وهو دين الله الحق، هذا هو محل الدعوة كما قال سبحانه:{ادع إلى سبيل ربك} (النحل:125).

فسبيل الله جل وعلا هو الإسلام وهو الصراط المستقيم وهو دين الله الذي بعث به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم هذا هو الذي تجب الدعوة إليه لا إلى مذهب فلان ولا إلى رأي فلان، ولكن إلى دين الله، وإلى صراط الله المستقيم الذي بعث الله به نبيه وخليله وهو ما دل عليه القرآن العظيم والسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)" (الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ص/26).

3) حقيقة الإسلام:

وحقيقة هذا الدين وهدفه هو عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما يعبد من دون الله، والاستسلام والخضوع لأوامره. قال تعالى: {إن الدين عند الله الإسلام} (آل عمران:19).. وقال تعالى: {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} (آل عمران:85).

وقال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} (النحل:36) وقال تعالى: {قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً} (الكهف:110).. وقال تعالى: {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين* لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} (الأنعام:162-163).

والخلق جميعاً ومنهم الإنس والجن قد خلقوا لهذه الغاية. قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون* ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون* إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} (الذاريات:56-58).

4) الإسلام نظام شامل لكل أعمال الإنسان:

والإسلام نظام شامل كامل لتنظيم أعمال الإنسان جميعها على هذه الأرض، فهو أولاً يحدد عقيدة الإنسان، وعمله تجاه إلهه وخالقه سبحانه وتعالى. ثم عقيدته وعمله نحو أهل الإيمان ممن دخلوا في هذا الدين ثم عقيدته وعمله نحو كل مخلوقات الله التي تحيط بالإنسان في السموات والأرض..

وفي كل هذه الأمور تأتي الأحكام الشرعية التكليفية الخمسة: الوجوب والندب، والإباحة، والتحريم، والكراهة..

فلا يوجد عمل ولا اعتقاد إلا وفيه حكم من هذه الأحكام. قال تعالى: {ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين} (النحل:89).. وقال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} (المائدة:3).

وقد بين سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله الكليات العامة للإسلام الذي تجب الدعوة إليه فقال:

"وعلى رأس الدعوة إلى الإسلام الدعوة إلى العقيدة الصحيحة إلى الإخلاص لله وتوحيده بالعبادة والإيمان به وبرسله والإيمان باليوم الآخر، وبكل ما أخبر الله به، ورسوله، هذا هو الأساس الصراط المستقيم. وهو الدعوة إلى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومعنى ذلك: الدعوة إلى توحيد الله والإخلاص له والإيمان به وبرسله عليهم الصلاة والسلام، ويدخل في ذلك الدعوة إلى الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسله مما كان وما يكون من أمر الآخرة، وأمر آخر الزمان، وغير ذلك..

ويدخل في ذلك أيضاً الدعوة إلى ما أوجب الله من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت إلى غير ذلك..

ويدخل أيضاً في ذلك الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ بما شرع الله في الطهارة والصلاة والمعاملات والنكاح والطلاق والجنايات والنفقات والحرب والسلم وفي كل شيء لأن دين الله عز وجل دين شامل يشمل مصالح العباد في المعاش والمعاد ويشمل كل ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم ودنياهم، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وينهى عن سفاسف الأخلاق، وعن سيء الأعمال..

فهو عبادة وقيادة، يكون عابداً ويكون قائداً للجيش، عبادة، وحكم ويكون عابداً مصلياً صائماً، ويكون حاكماً بشرع الله منفذاً لأحكامه عز وجل، عبادة وجهاد ويدعو إلى الله ويجاهد في سبيل الله من خرج عن دين الله، مصحف وسيف: يتأمل القرآن ويتدبره وينفذ أحكامه بالقوة ولو بالسيف إذا دعت الحاجة إليه، سياسة واجتماع فهو يدعو إلى الأخلاق الفاضلة والأخوة الإيمانية، والجمع بين المسلمين والتأليف بينهم كما قال جل وعلا: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا} (آل عمران:103)..

فدين الله يدعو إلى الاجتماع وإلى السياسة الصالحة الحكيمة التي تجمع الأخوة الإسلامية والتعاون على البر، والتقوى، والنصح لله ولعباده.

وهو أيضـاً يـدعو إلى أداء الأمانة والحكم بالشـريعة، وتـرك الحكم بغـير ما أنزل الله عز وجل كما قـال سـبحانه: {إن الله يـأمركم أن تـؤدوا الأمانـات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل..} (النساء:58).

وهو أيضـاً سياسة واقتصـاد كما أنه سياسة وعبـادة وجهـاد، فهو يـدعو إلى الاقتصاد الشرعي المتوسط ليس رأسمالي تكسب المال، وتطلبه بالطرق الشـرعية، وأنت أولى بمالك وبكسـبك بالطريقة الـتي شـرعها الله وأباحها جل وعلا.

والإسـلام أيضـاً يـدعو إلي الأخـوة الإيمانية وإلى النصح لله ولعبـاده وإلى احترام المسـلم لأخيه المسـلم لا غل ولا حسد ولا غش ولا خيانـة، ولا غـير ذلك من الأخلاق الذميمة كما قـــال جل وعلا: {والمؤمنـــون والمؤمنـــات بعضهم أولياء بعض} (التوبة:71) وقـال جل وعلا: {إنما المؤمنـون أخـوة} (الحجرات:10)..

وقـال النـبي صـلى الله عليه وسـلم: [المسـلم أخو المسـلم لا يظلمـه، ولا يخذله، ولا يحقره..] (متفق عليه).

فالمسـلم أخـو المسـلم يجب عليه احترامـه، وعـدم احتقـاره، ويجب عليه إنصافه وإعطـاؤه حقه من كل الوجـوه الـتي شـرعها الله عز وجـل، وقـال صلى الله عليه وسلم: [المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً] (متفق عليـه). وقـال صـلى الله عليه وسـلم: [المـؤمن مـرآة المـؤمن] (رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في الجامع 6655).

فأنت يا أخي مرآة أخيك وأنت لبنة من البناء الـذي قـام عليه بنيـان الأخـوة الإيمانيـة، فـاتق الله في حق أخيك واعـرف حقـه، وعامله بـالحق والنصح والصدق.

وعليك أن تأخذ الإسلام كله ولا تأخذ جانباً دون جانب، لا تأخذ العقيدة وتدع الأحكام والأعمال، ولا تأخذ الأعمال والأحكام، وتدع العقيدة، بل خذ الإسلام كله، خذه عقيدة وعملاً وجهاداً، وسياسة، واقتصـاداً، وغـير ذلك خذ من كل الوجوه كما قال سـبحانه: {يا أيها الـذين آمنـوا ادخلـوا في السـلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان أنه لكم عدو مبين} (البقرة:208).

قـال جماعة من السلف معـنى ذلـك: ادخلـوا في السـلم جميعه يعـني في الإسلام، يقال للإسلام سلم لأنه طريق السـلامة وطريق النجـاة في الـدنيا، والآخـرة، فهو سـلم وإسـلام، فالإسـلام يـدعو إلى السـلم، يـدعو إلى حقن الدماء بما شرع من الحدود والقصاص.

والجهاد الشرعي الصادق فهو سلم وإسـلام، وأمن وإيمـان ولهـذا قـال جل وعلا: {ادخلـوا في السـلم كافـة} أي ادخلـوا في جميع شـعب الإيمـان، لا تأخذوا بعضـاً وتـدعوا بعضـاً، عليكم أن تأخـذوا بالإسـلام كلـه، {ولا تتبعـوا خطـوات الشـيطان} (البقـرة:168) يعـني المعاصي الـتي حرمها الله عز وجل، فإن الشيطان يدعو إلى المعاصي وإلى ترك دين الله كله، فهو أعـدا عدو..

ولهذا يجب على المسـلم أن يتمسك بالإسلام كله وأن يـدين بالإسـلام كله وأن يعتصم بحبل الله عز وجل وأن يحـــذر أسـباب الفرقة والاختلاف في جميع الأحوال..

فعليك أن تحكم شـــرع الله في العبـــادات وفي المعـــاملات وفي النكـــاح، والطلاق، وفي النفقات، وفي الرضـاع، وفي السـلم، والحـرب، ومع العـدو والصديق، وفي الجنايات، وفي كل شـيء.. دين الله يجب أن يحكم في كل شيء..

وإياك أن توالي أخاك لأنه وافقك في كذا وتعادي الآخر لأنه خالفك في رأي أو في مسألة، فليس هذا من الإنصاف، فالصحابة رضي الله عنهم اختلفــوا في مســائل، ومع ذلك لم يــؤثر ذلك في الصــفاء بينهم والمــوالاة والمحبة رضي الله عنهم وأرضــاهم.. فــالمؤمن يعمل بشـــرع الله ويـــدين بـــالحق ويقدمه على كل أحد بالـــدليل، ولكن لا يحمله ذلك على ظلم أخيه وعـــدم إنصــافه إذا خالفه في الــرأي في مســائل الاجتهــاد الــتي قد يخفي دليلهــا، وهكــذا في المســائل الــتي قد يختلف في تأويل النص فيها فإنه قد يعــذر، فعليك أن تنصح له وأن تحب له الخــــــير ولا يحملك ذلك على العـــــــداء والانشقاق وتمكين العدو منك ومن أخيك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الإسلام دين العدالة، ودين الحكم بالحق والإحسان، ودين المساواة إلا فيما استثنى الله عز وجل، ففيه الـدعوة إلى كل خـير وفيه الـدعوة إلى مكـارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، والإنصاف، والعدالة، والبعد عن كل خلق ذميم. قال تعالى: {إن الله يأمر بالعـدل والإحسـان وإيتـاء ذي القـربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون} (النحل:90)..

وقال تعالى : {يا أيها الناس إنا خلقنـاكم من ذكر وأنـثى وجعلنـاكم شـعوباً وقبائل لتعـــارفوا إن أكـــرمكم عند الله أتقـــاكم إن الله عليم خبـــير} (الحجرات:13).

والخلاصة: إن الواجب على الداعية الإسلامي أن يدعو إلى الإسلام كله، ولا يفرق بين الناس، وأن لا يكون متعصـباً لمـذهب دون مـذهب أو لقبيلة دون قبيلة، أو لشيخه، أو رئيسه، أو غير ذلك، بل الواجب أن يكـون هدفه إثبـات الحق وإيضاحه، واسـتقامة النـاس عليه وإن خـالف رأي فلان أو فلان، ولما نشأ في النـاس من يتعصب للمـذاهب ويقـول: إن مــذهب فلان أولى من مذهب فلان، جاءت الفرقة والاختلاف حتى آل ببعض النـاس هـذا الأمر إلى أن لا يصلي مع من هو على غير مذهبه فلا يصـلي الشـافعي خلف الحنفي، ولا الحنفي خلف المـــــالكي، ولا خلف الحنبلي، وهكـــــذا وقع من بعض المتطرفين المتعصبين، وهذا من البلاء ومن اتباع خطوات الشيطان..

فالأئمة أئمة هـــدى، الشـــافعي ومالـــك، وأحمـــد، وأبو حنيفة والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وأشباههم كلهم أئمة هدى ودعاة حق دعوا الناس إلى دين الله وأرشدوهم إلى الحق، ووقع هناك مسائل بينهم اختلفوا فيها لخفاء الدليل علي بعضـهم فهم بين مجتهد مصـيب له أجـران، وبين مجتهـد أخطأ الحق فله أجر واحـد، فعليك أن تعـرف لهم قـدرهم وفضـلهم وأن تـترحم عليهم وأن تعـرف أنهم أئمة الإسـلام ودعـاة الهـدى، ولكن لا يحملك ذلك على التعصب والتقليد الأعمى، فتقـول: مذهب فلان أولى بالحق بكل حال، أو مذهب فلان أولى بالحق بكل حال لأنه لا يخطئ (لا) هذا غلط.

عليك أن تأخذ بالحق وأن تتبع الحق إذا ظهر دليله ولو خالف فلاناً أو فلانــاً، وعليك ألا تتعصب وتقلد تقليـداً أعمى، بل تعـرف للأئمة فضـلهم وقـدرهم، ولكن مع ذلك تحتاط لنفسك ودينك فتأخذ بالحق وترضى به وترشد إليه إذا طلب منك وتخاف الله وتراقبه جل وعلا وتنصف من نفسك مع إيمانك بـأن

الحق واحد وأن المجتهدين إن أصـابوا فلهم أجـران، وإن أخطـأوا فلهم أجر واحد -أعـني مجتهـدي أهل السـنة، أهل العلم والإيمـان والهـدى- كما صح بذلك الخبر عن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم" أ.هــ (الـدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ص/27-35) .

الركن الثاني: الداعي إلى الله

الركن الثاني من أركان الدعوة هو الـداعي إلى الله والمـراد به كل مسـلم حمل أمانة الدعوة، ودخل في قوله تعالى: {قل هذه سـبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين} (يوسف: 108).

والواجبات التي يجب توفرها في الداعي إلى الله هي:

1) العلم بما يدعو إليه:

الواجب الأول الـذي يجب تـوفره في الـداعي إلى الله أن يكـون عالمـاً بما يدعو إليه، موقناً أن الـذي يـدعو إليه هو الإسـلام. ولأن الإسـلام دين مـتين يشمل جميع عمل الإنسان وعلاقاته بربه ثم بجميع المخلوقات، والعالم من حوله، والعلوم التي جاء بها الدين واسعة جـداً فـالغيب الـذي أخبرنا الله به يبدأ من بدايات الخـلـق إلى نهاية الـدنيا، مـروراً بكل الرسـالات والنبـوات، ووصولاً إلى أحوال المعـاد والجنة والنار.. ثم إن الشريعة التي فرضـها الله علينا تنتظم جميع أعمـال المكلفين وتصـرفاتهم على الأرض، وحلاً لجميع مشكلاتهم، وقضاءً لجميع أقضياتهم.. ولأن هذا العلم من الاتساع والشمول والعمق مما لا يحيط به إلا الأفـذاذ من الرجـال، ولا يجمعه إلا الفحـول من العلماء ولا يفقهه حق الفقه إلا الأفراد من الراسخين في العلم.. كـان لا بد للداعي إلى الله أن لا يهجم على أمر من أمـور الـدين إلا بعد العلم بـه، ولا يفـتي في مسـألة إلا بعد فقه أبعادها ولا يـدعو النـاس إلا بعد العلم أن ما يدعو إليه هو ما أمر به الله ورسوله ولا ينهى عن شـيء إلا بعد العلم أن ما ينهى عنه هو مما نهى الله ورسوله عنه.

ولا يجـوز أن تجعل الأمـور الاجتهاديـة، وما لا نص فيه في منزلة الأمـور المنصـوص عليها المقطـوع بهـا.. ويجب على الـداعي أن يضع كل أمر في نصـابه، ودليل هـذا كله قوله تعـالى:{قل هـذه سـبيلي أدعو إلى الله على بصـيرة أنا ومن اتبعـني} (يوسـف:108) فالبصـيرة العلـم، وكـذلك قولـه: {ادع إلى سـبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسـنة} (النحـل:125) فما لم يكن من سبيل الله لا يجوز الـدعوة إليـه، وما لم يعلم أنه من سـبيل الله لا يجوز أن يدعى إليه.

والدعوة على جهل تؤدي إلى فساد الدين فكثيرون دعوا على جهل فضـلوا وأضلوا..

وسبيل العلم هو المربي والكتاب والمنهج، وقد سئل شـيخنا عبـدالعزيز بن بـاز حفظه الله عن الكتب الـتي يجب على الـداعي إلى الله أن يتعلمها فقال:

"أعظم كتاب وأشرف كتاب أنصح به هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه، فأنصح كل داع إلى اللـه، وكل آمر بـالمعروف ونـاه عن المنكر ومعلم، ومدرس، ومرشد، ذكراً كان أو أنثى، أن يعتـني بكتـاب الله ويتدبره، ويكثر من قراءته، فهو أصل كل خير، وهو المعلم وهو الهـادي

إلى الخير، كما قال عز وجل: {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم} (الإسراء:89).

وهو يهدي بهداية الله إلى الطريق الأقوم إلى سبيل الرشاد، فالواجب على الدعاة والآمرين بالمعروف والمعلمين، أن يجتهدوا في قراءته وتدبر معانيه، فإنهم بذلك يستفيدون الفائدة العظيمة، ويتأهلون بذلك للدعوة والتعليم بتوفيق الله عز وجل.

ثم أنصح بالسنة، وما جاء فيها من العلم والهدى، وأن يراجع الداعي إلى الله والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمدرس ذكوراً وإناثاً كتب الحديث، وما ألفه الناس من هذا ،حتى يستفيد من ذلك، وأهم كتب الحديث وأصحها، صحيح البخاري، وصحيح مسلم، فليكثر من مراجعتهما، والاستفادة منهما، ومن بقية كتب الحديث كالسنن الأربع، ومسند الإمام أحمد، وموطأ الإمام مالك، وسنن الدارمي وغيرها من كتب الحديث المعروفة كما أوصي بمراجعة كتب أهل العلم المفيدة، مثل المنتقى للمجد ابن تيمية، ورياض الصالحين، وبلوغ المرام، وعمدة الحديث، وجامع العلم وفضله لابن عبدالبر، وجامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب، وزاد المعاد في هدي خير العباد للعلامة ابن القيم، وأعلام الموقعين، وطريق الهجرتين، والطرق الحكمية كلها له أيضاً..

وكذلك ما كتبه أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة الشرعية، والحسبة في الفتاوى، ومنهاج السنة، فهو من الأئمة العظماء الذين جربوا هذا الأمر، وبرزوا فيه، ونفع الله به الأمة ونصر به الحق، وأذل به البدع وأهلها فجزاه الله وإخوانه العلماء عن صبرهم وجهادهم أفضل ما جزي به المحسنين إنه جواد كريم ..

فأنا أنصح كل مسلم، وكل معلم، وكل مرشد أن يعتني بهذه الكتب المفيدة بعد العناية بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم..

2) العمل بما يدعو إليه:

الواجب الثاني الذي يجب للداعي أن يكون عاملاً بما يدعو الناس إليه، فإذا دعا غيره إلى خير كان أسبق الناس إليه، وإذا نهاهم عن شر كان أبعد الناس منه، ودليل هذا قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون* كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} (الصف:2-3) وقوله تعالى: {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون} (البقرة:44).

وقوله تعالى عن شعيب: {وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه} (هود: 81) وفي الحديث الصحيح: [يؤتى بالرجل يوم القيامة فتندلق أقتابه في النار، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه] (متفق عليه).

قال شيخنا عبدالعزيز بن باز حفظه الله: "ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي، بل يجب أن يكون عليها الداعية، العمل بدعوته، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس ممن يدعو إلى شيء ثم يتركه، أو ينهى عن شيء ثم يرتكبه، هذه حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك، أما المؤمنون الرابحون فهم دعاة الحق يعملون به وينشطون فيه ويسارعون إليه،

ويبتعــدون عما ينهــون عنه قـــال الله جل وعلا: {يا أيها الــذين آمنــوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} (الصف:2-3).

هذه الآية العظيمة تبين لنا أن الـداعي إلى الله عز وجل ينبغي أن يكـون ذا عمل صالح يدعو إلى الله بلسانه، ويدعو إلى الله بأفعاله أيضاً، ولهـذا قـال بعــده "وعمل صـــالحاً"، فهو داعية إلى الله باللســـان، وداعية بالعمل ولا أحسن قـولاً من هـذا الصـنف من النـاس، هم الـدعاة إلى الله بـأقوالهم الطيبة، وهم يوجهون الناس بالأقوال والأعمال، فصـاروا قـدوة صـالحة في أقوالهم وأعمالهم وسيرتهم.

وهكذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام دعاة إلى الله بالأقوال والأعمال، والسـيرة.. وكثـير من المـدعوين ينتفعـون بالسـيرة أكـثر مما ينتفعـون بـالأقوال، ولا سـيماً العـامة وأربـاب العلـوم القاصـرة فـإنهم ينتفعـون من السيرة والأخلاق الفاضلة والآمال الصالحة، ما لا ينتفعون من الأقوال الــتي قد لا يفهمونهـا، فالـداعي إلى الله عز وجل من أهم المهمـات في حقه أن يكون ذا سيرة حسنة، وذا عمل صالـح، وذا خلق فاضل حـتى يقتـدي بفعاله وأقواله" (من أقوال الشيخ بن باز ص/65-66).

3) احتساب أجر الدعوة إلى الله:

يجب على الـداعي إلى الله أن يكـون محتسـباً لا يطلب على دعوته أجـراً. قال تعالى: {قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين} (ص:86) وحتى لا يتهم في دعوته، وأنه لم يدع إلا للدنيا، ولذلك أمر الله جميع رسله أن يقولـوا {وما أسـألكم عليه من أجر إن أجـرى إلا على رب العـالمين} (الشعراء:109).

وأتبـاع الرسل والأنبيـاء يجب أن يأتسـوا بهم في دعـوتهم إلى الله فتكـون دعوتهم إلى الله من أجل دينه، واحتساباً للـه، وبهـذا تجد دعـوتهم القبـول، وتنتفي عنهم الظنة ويكونون بعيدين عن الشبهة.

قـال شـيخنا عبـدالعزيز بن عبدالله بن بـاز حفظه اللـه: "أما أخلاق الـدعاة وصفاتهم التي ينبغي أن يكونـوا عليها فقد أوضـحها الله جل وعلا في آيـات كثيرة في أماكن متعددة من كتابه الكريم (أولاً) منها:

* الإخلاص: فيجب على الداعية أن يكـون مخلصـاً لله عز وجل لا يريد ريـاء ولا سـمعة ولا ثنـاء النـاس ولا حمـدهم، إنما يـدعو إلى الله يريد وجهه عز وجـل، كما قـال سـبحانه وتعـالى: {قل هـذه سـبيلي أدعو إلى اللـه} (يوسـف:108) ..وقـال عز وجـل: {ومن أحسن قـولاً ممن دعا إلى اللـه} (فصـلت:33) فعليك أن تخلص لله عز وجـل، هـذا أهم الأخلاق، هـذا أعظم الصفات أن تكون في دعوتك تريد وجه الله والدار الآخرة" (الدعوة وأخلاق الدعاة ص/36-37).

ولا شك أن إخلاص الداعية لله في دعوته هو من سر النجــاح فيهــا، ووضع القبول له في الأرض.

قـال الإمـام الـذهبي رحمه اللـه: "كـان السـلف يطلبـون العلم لله فنبلـوا وصـــاروا أئمة يقتــدى بهم، وطلبه قـــوم منهم أولاً لا للـــه، وحصـــلوه، ثم استفاقوا وحاسبوا أنفسهم فجـرهم العلم إلى الإخلاص في أثنـاء الطريـق، كما قال مجاهد وغيره: طلبنا هـذا العلم وما لنا فيه كبـير نيـة، ثم رزق الله

النية بعد، وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله. فهذا أيضاً حسن، ثم نشروه بنية صالحة .

وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا وليثنى عليهم، فلهم ما نووا: قال عليه السلام: [من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالاً فله ما نوى] (رواه أحمد والنسائي والحاكم وصححه الألباني في الجامع 6401).

وترى هذا الضرب لم يستضيئوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله تعالى.

وقوم نالوا العلم وولوا به المناصب، فظلموا، وتركوا التقيد بالعلم وركبوا الكبائر والفواحش، فتباً لهم، فما هؤلاء بعلماء!

وبعضهم لم يتق الله في علمه بل رَكِبَ الحيل، وأفتى بالرخص، وروى الشاذ من الأخبار، وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث فهتكه الله، وذهب علمه، وصار زاده إلى النار، وهؤلاء الأقسام كلهم رووا من العلم شيئاً كبيراً، وتضلعوا منه في الجملة، فخلف من بعدهم خلف بان نقصهم في العلم والعمل، وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير، أوهموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدر في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله لأنهم ما رأوا شيخاً يقتدى به في العلم، فصاروا همجاً رعاعاً، غاية المدرس منهم أن يحصل كتباً مثمنة يخزنها، وينظر فيها يوماً ما، فيصحف ما يورده ولا يقرره، فنسأل الله النجاة والعفو" (سير أعلام النبلاء 7/152-153).

قال عبدالله بن المبارك: "قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق" (صفوة الصفوة 4/122).

4) الصبر على الأذى:

لا بد للداعي إلى الله من التحلي بالصبر لأنه لا بد وأن يؤذى في دعوته فكل الرسل قد عودوا، وقد قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم: (لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي) (متفق عليه)..

قال تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً} (الفرقان:31).

وقال صلى الله عليه وسلم: [أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل] (رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني في صحيح الجامع 993).

ومن أجل ذلك قرن الله الصبر مع التواصي بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: {والعصر* إن الإنسان لفي خسر* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر} (العصر:1-3).. وقال تعالى عن لقمان وهو يعظ ابنه: {يا بني أقم الصلاة، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور} (لقمان: 17).

والرسل أوذوا من الكفار المعلنين للكفر، ومن أهل النفاق ومن أهل الجهل، والحمق كذلك ممن يظهر الدين!!

وقد أوذي سيـد البشـر، وخـاتم الرسل وإمـام المتقين، سـيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المشركين واليهـود والنصارى كما لقي أيضـاً من المنـافقين أذى كبـيراً فقد كـان منهم من قــال في حقـه: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخـرجن الأعز منها الأذل)، وكـان منهم من سب زوجتـه، وآذاه في أهله ومنهم من قال: (هو أذن)، ومنهم من تآمر على قتله.. الخ.

كمـا أؤذي صلى الله عليه وسـلم من بعض الجهـال الحمقى من أمثـال من قال لـه: (اعـدل يا محمد فوالله هـذه قسـمة ما أريد بها وجه اللـه) (متفق عليه).

وكذلك أوذي خيار أصحابه من بعده، وما زال الصديق والفاروق يسبان أشد السب إلى يومنا هذا..

فالـداعي إلى الله لا بد وأن يـؤذى، ويبتلى. فـإذا كـان الـداعي إلى الله من أهل الصبر استمر في دعوته، وإن كـان من أهل الجـزع والضـعف والخـور، تـرك الـدعوة إلى الله وإن كـان من أهل الحمق والجهل ربما اعتـدى على من يدعوهم، وانتصر لنفسه فأفسد دعوته، وأبطل جهاده في سبيل الله.

5) الحرص على هداية من يدعوه:

الواجب الخامس الذي يجب تـوفره في الـداعي إلى الله أن يكـون حريصـاً على هداية من يدعوه فإذا كان من يـدعوه كـافراً كـان حريصـاً على إيمانه ساعياً في ذلك بكل سبيل، وقد كان سيد الدعاة والمهتدين وهو نبينا صـلى الله عليه وسلم ليحزن أشد الحزن حـتى يكـاد يقتله الغم أسـفاً على نفـور الناس من دعوته..

قال تعالى معزياً ومعاتباً له: {لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنــوا بهذا الحديث أسفاً} (الكهف:6)..

وقد وصـفه تعـالى بـالحرص على هداية النـاس. قـال تعـالى:{لقد جـاءكم رسـول من أنفسـكم عزيز عليه ما عنتم حـريص عليكم بـالمؤمنين رؤوف رحيم} (التوبة:128).. وقال تعـالى: {إن تحـرص على هـداهم فـإن الله لا يهدي من يضل} (النحل:37)..

والداعي إذا كان حريصاً على هداية من يـدعوه سـعى إلى ذلك بكل سـبيل ولم يـدخر وسـعاً في إيصـال الحق لـه، واسـتخدم معه كل وسـيلة ناجعـة، وأزال كل عقبة تصده عن الحق.

وأما إذا اتصف بضد ذلك أهمل في دعوة من يدعوه، ولم يكـترث لهدايته أو ضلاله..

وإذا كان من تدعوه مسلماً وكنت حريصاً على أن يهتدي للحق الذي تدعوه إليـه، وللمعـروف الـذي تأمــره بـه، حملك هـذا على إخلاص النيـة، وبـذل قصارى الجهد، والفرح بهداية من تدعوه، والحزن إذا لم يستجب لك.

6) اتخاذ الحكمة منهجاً وسبيلاً:

أمر الله سبحانه وتعـالى أن تكـون الـدعوة إلى سـبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالحسـنى، قـال تعـالى: {وادع إلى سـبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن}.

* قال في لسان العرب:

الحكمة: هي العـدل، ورجل حكيم، عـدل حكيم، واحكم الأمر أتقنـه، ويقـال للرجل إذا كان حكيماً: قد أحكمته التجارب.. والحكيم المتقن للأمور.

وأصله من المنع: ومنه قوله الشاعر

بني حنيفة أَحكموا سفهاكم   أني أخاف عليكم أن أغضبا

أي ردوهم وكفوهم.

ومنه حَكَمَةُ اللجام ما أحاط بحنكي الدابـة، وسـميت حكمة لأنها تمنعها من الجري الشديد.. والحكمة مانعة لصاحبها من الوقوع في الخطأ.

* معنى الحكمة في الشرع:

قال الإمام ابن جرير رحمه اللـه: "القـول في تأويل قوله تعـالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجـادلهم بـالتي هي أحسن إن ربك هو أعلـم بمن أضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين}.

يقول تعـالى ذكـره لنبيه محمد صـلى الله عليه وسـلم: {ادع} يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته {إلى سبيل ربـك} يقـول: إلى شـريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسـلام {بالحكمـة} يقـول بـوحي الله الـذي يوحيه إليك، وكتابه الـذي نزله عليك {والموعظة الحسـنة} يقـول: وبـالعبر الجميلة الــتي جعلها الله حجة عليهم في كتابــه، وذكــرهم بها في تنزيلــه، كالتي عدد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكرهم فيها ما ذكــرهم من آلائه {وجادلهم بالتي هي أحسن} يقـول: وخاصـمهم بالخصـومة الـتي هي أحسن من غيرها أن تصــفح عما نــالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك".

وقـال الإمــام برهـان الـدين البقـاعي في نظم الـدرر: "{ادع} أي كل من يمكن دعوته.. {إلى سبيل ربك} أي المحسن إليك، بتسهيل السـبيل الـذي تدعو إليه واتساعه، وهو الإسلام الذي هو الملة الحنفية.. {بالحكمـة} وهي المعرفة بمراتب الأفعال في الحسن، والقبح، والصلاح، والفســاد، وقيل لها حكمة لأنها بمنزلة المـانع من الفسـاد، وما لا ينبغي أن يختـار، فـالحكيم هو العالم بما يمنع من الفساد، قال الرماني، وهي في الحقيقة الحق الصـريح، فمن كان أهلاً له دعا به {والموعظة} بضرب الأمثال والوعــد، والوعيد مع خلط الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة.. {الحسنة} أي التي يسهل على كل فهم ظاهرهـــا، ويــروق كل نحرير ما ضــمنته ســرائرها، مع اللين في مقصــودها، وتأديتها هــذا لمن لا يحتمل إلا ذلــك.. {وجــادلهم} أي الــذين يحتملون ذلك منهم افْتِلهم عن مـذاهبهم الباطلة إلى مـذهبك الحق بطريق الحجــاج.. {بــالتي هي أحســن} من الطــرق بــالترفق واللين والوقــار، والسـكينة، ولا تعـرض عنهم، ولا تجـازهم بسـيء مقـالهم، وقـبيح فعـالهم صفحاً عنهم ورفقاً بهم، فهو بيان لأصناف الدعوة بحسب عقول المـدعوين لأن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بأن يخاطبوا الناس على قدر عقــولهم" أ.هـ

وقال الشيخ عبدالرحمن السـعدي رحمه الله في تفسـيره في بيـان معـنى الحكمــــة: "{بالحكمــــة} أي كل أحد على حسب حاله وفهمــــه، وقبوله وانقياده، ومن الحكمة، الـدعوة بـالعلم لا بالجهـل، والبـدأة بـالأهم فـالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبـالرفق واللين، فـإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسـنة، وهو الأمـر،

والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعـدادها، وإما بـذكر إكـرام من قـام بـدين اللـه، وإهانة من لم يقم بـه، وإما بـذكر ما أعد الله للطـائعين، من الثـواب العاجل والآجـل، وما أعد للعاصـين من العقـاب العاجل والآجـل، فـإن كـان المدعو، يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعيه إلى الباطل، فيجـادل بـالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون ادعى لاسـتجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصـول المقصـود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشـاتمة، تـذهب بمقصـودها ولا تحصل الفائـــدة منهـــا، بل يكـــون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها". (تفسير السعدي 3/92-93).

وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -حفظه الله-:

"ومن الحكمة إيضاح المعنى وبيانه بالأساليب المؤثرة التي يفهمها المـدعو وبلغته الـتي يفهمها حـتى لا تبقى عنـده شـبهة، وحـتى لا يخفى عليه الحق بسبب عدم البيـان، أو بسـبب عـدم إقناعه بلغتـه، أو بسـبب تعـارض بعض الأدلة، وعـدم بيان المرجح، فإذا كان هناك ما يـوجب الموعظة وعظ وذكر بالآيـات الزواجـر، والأحـاديث الـتي فيها الـترغيب والـترهيب، حـتى ينتبه المـدعو، ويـرق قلبـه، وينقـاد للحـق، فالمقـام قد يحتـاج فيه المـدعو إلى موعظة وتـرغيب وتـرهيب على حسب حالـه، وقد يكـون مسـتعداً لقبـول الحق، فعند أقل تنبيه يقبل الحق، وتكفيه الحكمـة، وقد يكـون عنـده بعض التمنـع، وبعض الإعـراض فيحتـاج إلى وعظة وإلى توجيه وإلى ذكر آيـات الزجر" (من أقوال الشيخ ابن باز في الدعوة ص/64).

ومما سبق يتبين أن الحكمة تأتي لمعان كثيرة:

1) ما تضـمنه كتـاب الله سـبحانه وتعـالى من الـدعوة إلى الإيمـان بالله وعبادته والـتزام صـراطه المسـتقيم، ودينه القـويم ، فالآخذ بهـذا قد أحكم أمره، وعرف طريقه، وبهذا فسر ابن جرير الطبري معنى {ادع إلى سـبيل ربك بالحكمة} أي ما تضمنه هذا القرآن الكريم.

2) سـنة النـبي صـلى الله عليه وسـلم وقد جـاءت الحكمة معطوفة على الكتاب كثيراً في القـرآن كما قـال تعـالى: {لقد من الله على المؤمـنين إذ بعث فيهم رسـولاً منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتـاب والحكمة} (آل عمران:164).

فالحكمة هنا هي بيان القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

3) الحكمة يعنى وضع الأمور في نصابها، والوصـول إلى الأهـداف المطلوبة بأيسر الطرق وأحسنها كما أمر الله باللين في الدعوة مع الجبابرة: {فقولا قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى} وبالشدة في مواطنها كما قـال تعـالى: {يا أيها النـبي جاهد الكفـار والمنـافقين واغلظ عليهم ومـأواهم جهنم وبئس المصـير}.. وبـالعفو واللين في مواطنه {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك}.

والخلاصة أن الحكمة وصف جامع للعلم النافع الذي يمكن صـاحبه من وضع كل أمر في نصابه، مما ييسر له الوصول إلى أفضل النتائج بأيسر السبل.

الركن الثالث: المدعو

1) عالمية الرسالة:

رسالة الإسلام رسالة للعالمين قال تعـالى: {قل يا أيها النـاس إني رسـول الله إليكم جميعاً} (الأعراف:158).. وقال تعالى: {لأنذركم بـه، ومن بلـغ} (الأنعام:19).. وقال تعالى: {وما أرسلناك إلا كافة للنـاس بشـيراً ونـذيراً} (سبأ:28)..

وقـال تعالى: {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نـذيراً} (الفرقان:1) ومن أجل ذلك فالبشر جميعاً مدعون إلى هذا الدين، والنــاس جميعـاً هم أمة الدعــوة الـذين أرسل إليهم رسـولنا محمد صـلى الله عليه وسلم .

2) أقسام الناس حيال رسالة الإسلام:

جاء الإسلام بنسخ جميع الشرائع السماوية التي قبله، ووجوب دخول اليهود والنصارى في شريعة الله المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم، واتباعه في القليل والكثير.. وقد انقسم الناس بعد دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قسمين:

* قسم آمن به واتبع ما جاء به من الهدى والنور..

* وقسم كفر بالإسلام وجحد ما أنزل الله على رسوله..

وهذا القسم الأخير افترقوا فريقين: كفار معلنين لكفرهم، وكفار تظاهروا بالإسلام، وأضمروا الكفر، وقد سماهم القرآن بالمنافقين..

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى الأحكام التي يجب اتباعها مع كل قسم من هذه الأقسام، ورسم رسول الله صلى الله عليه وسلم السياسة الشرعية الواجبة في دعوة هذه الأقسام إلى الله وكيفية التعامل مع كل قسم منهم.

وهذه هي الأصول العامة والسياسة الشرعية في الدعوة والمعاملة مع هذه الأقسام:

أولاً: الأصول الشرعية في دعوة الكفار الأصليين للإسلام:

من الكفار الأصليين من بلغه دعوة الإسلام على الوجه الصحيح، ومنهم بلغته دعوة الإسلام بصورة مشوهة، ومنهم من لم تبلغه دعوة الإسلام..

ومن الكفار الأصليين أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والوثنيون والمجوس وغيرهم من أتباع هذه الملل الكثيرة، ومنهم من لا ينتمي لدين أصلاً.

والأصول التي يجب اتباعها مع هؤلاء جميعاً هي:

1) إبلاغ دعوة الإسلام على وجهها الصحيح بلاغاً يقطع العذر:

الأصل الأول في دعوة المسلمين إلى الإسلام أن يبلغوا هذه الدعوة على وجهها الصحيح بلاغاً يقطع العذر كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا تقوم الحجة عليهم إلا بهذا.. قال تعالى: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} (المائدة:67).. وقال تعالى: {وما على الرسول إلا البلاغ المبين} (النور: 54)..

ولا يكون البلاغ مبيناً قاطعاً للعذر إلا:

أ) إذا فهموه بلغتهم أو تمكنوا من العربية تمكناً يجعلهم يفهمون معانيها كما قال تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} (إبراهيم:4)..

فالواجب على أمة الإسلام الذين أخرجهم الله للناس أن يبلغوهم دين الله باللسان الذي يفهمونه ثم يعلموهم العربية ليفهموا عن الله ورسوله..

قال شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله: "أما بالنسبة إلى ولاة الأمور، ومن لهم القدرة الواسعة، فعليهم من الواجب أكثر، وعليهم أن يبلغوا الدعوة إلى ما استطاعوا من الأقطار حسب الإمكان بالطرق

الممكنة وباللغات الحية التي ينطق بها الناس، يجب أن يبلغوا أمر الله بتلك اللغات حـتى يصل دين الله إلى كل أحد باللغة الـتي يعرفهـا، باللغة العربية وبغيرها" (الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ص/17).

ب) إبطال شبهات الكفار، ودفع باطلهم:

ويجب أن تدحض كل حجج الكفار وشبهاتهم حـول دينهم الباطـل، وكل دين غـير الإســلام فباطل كما قــال تعـالى: {بل نقــذف بــالحق على الباطل فيدمغه} (الأنبياء:18).. وقـال تعـالى: {قل فلله الحجة البالغـة} (الأنعـام: 149).. وقال تعالى: {ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بـالحق وأحسن تفسـيراً} (الفرقان:33)..

ومن أجل ذلك أبطل الله في القــرآن كل ما احتج به الكفــار على اختلاف عقائدهـم في احتجاجهم لدينهم الباطل، فقد رد الله على اليهود مزاعمهم، وعلى النصــارى ضـلالهم وشـبههم، وعلى مشــركي العــرب في جميع ما عارضــوا به الإســلام، وعلى ما احتجــوا به على ما هم عليه من الشــرك والضلال.

2) لا يبدأ مع الكافر الأصلي إلا بالتوحيد ثم الأهم فالأهم:

يجب البدء مع الكافر الأصلي الذي لم يـدخل الإسـلام بالتوحيد لأنه أسـاس الدين، وجميع الأحكام ترجع إليه، ولا يصح العمل الصالح إلا به ولـذلك كـان كل رسول أول ما يدعو قومه يدعوهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى.

إذ هو الفارق بين المسلم والكافر، وجميع أعمال الدين ترجع إلى التوحيــد، وتبــنى عليــه، فلا يصح عمل صـــالح للعبد إلا بتحقيق التوحيد للـــه، وجميع الأعمال الصالحة تكون باطلة إذا لم يكن فاعلها موحـداً لله سبحانه وتعالى كما قال جل وعلا في عمل المشركين والكفـار: {والـذين كفـروا أعمـالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجـده شـيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه، والله سريع الحساب} (النور:39)..

وقال تعالى: {مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الـريح في يـوم عاصف لا يقـدرون مما كسـبوا على شـيء، ذلك هو الضـلال البعيـد} (إبراهيم:18).

وقال تعالى: {ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشــركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين} (الزمر:65)..

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل عندما أرسـله داعيـاً إلى أهل اليمن أن يبدأ بالتوحيد ثم بالصلاة، ثم بالزكاة فقد قال صـلى الله عليه وسـلم: [إنك تقـدم على قـوم من أهل الكتـاب فليكن أول ما تدعوهـم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا، فأخبرهم أن الله قد افــترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقـروا بـذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس] (متفق عليه).

قال ابن حجر في الفتح: "بدأ بالشـهادتين لأنهما أصل الـدين، الـذي لا يصح شيء إلا بهما، فمن كان غير موحـد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين، ومن كان موحداً فالمطالبة له بالجمع بين الإقــرار والوحدانية".

وقال: "يبدأ بالأهم فالأهم، وذلك من التلطف في الخطـاب لأنه لو طـالبهم بالجميع لأول مرة لم يأمن النفرة" (الفتح 3/357).

3) عــرض الــدعوة على الكفــار بــاللين، والحكمــة، والموعظة الحســنة، والجدال بالحسنى:

في مقام عرض دعوة الإسلام على الكفار، وإن كانوا من المجرمين العتاة، والجبابرة الطغـاة يجب اتخـاذ اللين والحكمة والموعظة الحسـنة والجـدال بالحسنى سبيلاً إلى عرض الـدعوة، والـدليل على هـذا وصـية الله لموسى وهـارون أن يعرضا الـدعوة على فرعـون بـاللين.. قـال تعـالى: {إذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى } (طه:43-44).

فمع طغيانه وقتله لـذكور بـني إسـرائيل،واسـتحيائه لنسـاءهم، وسـومهم رسولهم سوء العذاب إلا أن الله أمر الرسـول عليه السـلام أن يكـون لينـاً في عرض الدعوة عليه، ولعل اللين أن ينفعه فيتذكر ويخشى.

وقـــال تعــالى أيضــاً :{ادع إلى ســبيل ربك بالحكمة والموعظة الحســنة وجادلهم بالتي هي أحسن} (النحل:125).. وقال تعالى: {ولا تجـادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم} (العنكبوت:46).

4) وجوب رد إساءتهم وعدم السكوت على طعنهم في الدين:

لا يجوز للداعي إلى الله الذي يعرض دعوته باللين والحكمة على الكفار أن يأخذ جانب اللين مع الـذين يـردون رداً سـيئاً، ويطعنـون في الـدين الحـق، ويسبون رسول الله، أو يعيبون شريعة الله، بل يجب الــرد المناسب عليهم والانتصار منهم لقوله تعالى: {ولا تجادلوا أهل الكتـاب إلا بـالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم} (العنكبوت:46).

فالظـــالمون منهم يجب الـــرد بما يتناسب مع هجـــومهم وتهجمهم على الإسلام وطعنهم فيه. قال تعالى: {والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون} (الشورى:39).. ولذلك جاء في كثير من آيات القرآن الـرد والزجر الشـديد على المعانـدين من الكفـار: كبيـان فضـائحهم، وكشف مخـازيهم ووصـفهم بفقـــدان العقل والفهم، والاســـتهزاء بحـــالهم ومـــآلهم، وتحقـــير آلهتهم، وتهديدهم بعذاب الدنيا والآخرة.

5) قبول الكافر أخاً في الإسلام مهما سلف منه في الكفر:

يجب أن يقبل الكـافر أخـاً في الـدين إذا انتقل من الكفر إلى الإسـلام، فلا يعير بدينه السابق، ولا بما كان عليه من الكفر والشـرك، ولا يـذكر بماضـيه إلا أن يكون على وجه حمد الله وشـكره وفضـله عليه كما قـال تعـالى عن المشركين: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكـاة فـإخوانكم في الـدين، ونفصل الآيات لقوم يعلمون} (التوبة:11).

* أصول في دعوة المرتد:

المرتد: هو كل من رجع عن الإسلام بعد دخوله فيـه، وللمرتد أحكـام خاصة في الدعوة منها:

1) لا حكم بالردة إلا من عالم بالإسلام:

لا يجـــوز الحكم على مســـلم بـــالردة إلا إذا أعلن بنفسه هو أنه راجع عن الإسلام أو أن يكـون قوله أو فعله كفـراً مخرجـاً من الملـة، ولا يحكم عليه

بالردة إلا عالم بالإسلام وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: [من قـال لأخيه يا كـافر فقد بـاء بها أحـدهما إن كـان كما قـال وإلا رجعت عليـه] (متفق عليه)..

2) يجب التفريق بين مقالة الكفر والكافر:

ليس كل من وقع في الكفر يكـون كـافراً فربما وقع جهلاً أو تـأولاً ولـذلك يجب الرد على المخالف، وإقامة الحجة بيـان المقالة الخاطئـة، دون الحكم على قائلها حـتى يتـبين أنه قد اختـار الكفـر، أو أقيمت عليه الحجة البالغة التي تقطع عذره..

* أصول في دعوة المنافق:

المنـافق: هو الـذي يظهر الإسـلام ويبطن الكفـر، وهـذه بعض الأصـول الشرعية في دعوته للإسلام:

1) لا يحكم على شخص أنه منافق نفاقاً اعتقادياً إلا ببرهـان لا يقبل النقض أنه يبطن الكفر، ويظهر الإسلام كذباً..

2) المنافق يدعى إلى الإسلام، ويوعظ ،ويـذكر بالله، ويجـري عليه أحكـام الإسـلام الظـاهرة، ويغلظ عليه عند مخالفة الأمر الشـرعي. قـال تعـالى: {أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً} (النسـاء:6) {جاهد الكفـار والمنـافقين واغلظ عليهم} (التوبة:73).

قال ابن كثـير: "قـال تعـالى {أولئك الـذين يعلم الله ما في قلـوبهم} هـذا الضـرب من النـاس هم المنـافقون، والله يعلم ما في قلـوبهم وسـيجزيهم على ذلك فإنه لا تخفى عليه خافية فـــاكتف به يا محمد فيهم فإنه عـــالم بظواهرهم وبواطنهم، ولهذا قـــال له {فـأعرض عنهم} أي لا تعنفهم على ما في قلوبهم {وعظهم} أي وانههم عما في قلوبهم من النفـاق وسـرائر الشر {وقل لهم في أنفسـهم قـولاً بليغـاً} أي وانصـحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم".

ثانياً: الدعوة بين المسلمين:

للدعوة إلى الله بين المسلمين ميدانان هما:

أ) التربية والتعليم.

ب) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولكل ميدان من هذين الميدانين أصوله وقواعده.

أ) قواعد في التربية على الإسلام وتعليمه:

التربية وهي التزكية والتعليم، هي مهمة النـبي في المؤمـنين قـال تعـالى: {هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} (الجمعة:2)..

والتربية هي تنشأة الإنسان وبناؤه.. قال رسول صلى الله عليه وسـلم: [ما من مولـود إلا يولد على الفطـرة فـأبواه يهودانه أو ينصـرانه أو يمجسـانه] (متفق عليه).

وهذه أهم قواعد التربية والتزكية:

1) تصور النموذج المثالي للإنسان الكامل والعبد الصالح:

يجب أولاً أن يتضح أمام المربي والمعلم النموذج والمثال الذي يجب أن يربى على غراره، وهذا النموذج قد جاء وصفه التفصيلي في آيات كثيرة من كتاب الله سبحانه وتعالى منها أول سورة المؤمنون.. قال تعالى: {قد أفلح المؤمنون* الذين هم في صلاتهم خاشعون* والذين هم عن اللغو معرضون* والذين هم للزكاة فاعلون* والذين هم لفروجهم حافظون* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون* والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون* والذين هم على صلواتهم يحافظون} (المؤمنون:1-9).

وفي غيرها من سور القرآن كمطلع سورة البقرة، والآيات الأولى من سورة الأنفال، وسورة الحجرات بكمالها، والآيات من سورة الإسراء من قوله تعالى: {لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً} (الإسراء: 22) إلى قوله: {ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً} (الإسراء:39)..

ولا شك أن القرآن كله قد فصل صفات النموذج الطيب للمؤمن الصالح الذي يحبه الله ويرضاه..

وقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الكامل والنموذج والقدوة والأسوة الذي أمر المسلمون جميعاً بالتأسي به {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} (الأحزاب:21)..

فهو النموذج الكامل للتأسي، وقد كان خلقه القرآن كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: [كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن] (رواه أبو داود والنسائي).

وكذلك صور القرآن النماذج السيئة من المجرمين والكافرين والمنافقين. قال تعالى: {وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين} (الأنعام: 55)..

2) التعليم الدائم:

يجب على الداعي إلى الله، ومعلم الخير أن يعتمد لنفسه ومن يعلمهم نظام التعليم الدائم من المهد إلى اللحد، والمسلم الحق هو من يزداد في دينه كل يوم علماً وعباده {وقل رب زدني علماً} (طه:114) وعلم الدين لا يحاط به، والقرآن لا يشبع منه العلماء، وفضل العلم خير من فضل العبادة.

3) أخذ العلم والعمل جميعاً:

يجب أخذ العلم والعمل جميعاً، وعدم إفراد العلم عن العمل لأن هذا مدعاة لأن يقول المسلم ما لا يفعل، وأن يصبح العلم حجة على صاحبه لا حجة له، وقد كان منهج الصحابة في التعلم أخذ العلم والعمل جميعاً فقد كان منهم من حفظ سورة البقرة في عدة سنوات ليحفظ السورة وليعلمها، وليعمل بها كما قال الأعمش : (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن) (تفسير ابن كثير)

فتأخذ العلم والعمل جميعاً، وهذا لمن جاوز مرحلة الصغر وسنوات الحفظ الذهبية.

4) اغتنام سني الحفظ الذهبية عند الصغير:

تعليم الصغار يجب أن يكون بالحفظ أولاً اغتناماً لسنوات الحفظ الذهبية وهي من الثالثة إلى العشرين تقريباً.. وقد كان منهج التابعين وتابعيهم تحفيظ الصغير القرآن الكريم أولاً ثم السنة، ثم متون العلوم المختلفة (المتون هي كليات العلوم وقضاياها الأساسية وكثيراً ما تكون نظماً).. ثم في الكبر يعتني بعد ذلك بالفهم والتعلم والتفقه فيما يكون قد حفظه.

5) تعلم الحق قبل الباطل، والتحصن بجواب الشبهة قبل ورودها:

من قواعد التعليم تعلم الحق قبل تعليم الباطل، لأن السابق إلى الذهن يتمكن منه ويستقر فيه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: [ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه] (متفق عليه) والفطرة هي التوحيد. قال تعالى: {فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله} (الروم:30).

فيجب تعليم الصغار كلمة التوحيد، وتنشئتهم على الفضيلة، والخلق الطيب قبل إطلاعهم على أنواع الشرك والكفر، ومعرفة الرذيلة..

ثم يجب تعلم جواب الشبهة قبل ورودها تحصناً منها، كما كان الله سبحانه وتعالى يعلم المسلمين ما يقولونه جواباً لشبهات الكفار قبل أن يلقيها الكفار. قال تعالى: {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا} (الأنعام:148) فأخبرهم بقول المشركين سبحانه، قبل أن يقولوه ليعلمهم جوابه. وقال تعالى: {سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب..} (البقرة:142) وهذا كثير في القرآن.

6) التربية بالأسوة:

يجب أن تكون الدعوة إلى الله بالأسوة الصالحة، قبل أن تكون بالتعلم والقدوة الحسنة أبلغ في الدعوة .. فالعالم العامل المربي يدعو بسيرته وأخلاقه وأعماله أكثر مما يدعو بأقواله.. والرسول المربي صلى الله عليه وسلم قد أثر في سلوك أصحابه بأخلاقه وشمائله أعظم من تأثيره بأقواله ومواعظه..

7) الحلم بالتحلم:

هناك فارق كبير بين التعلم والتربية، فالتعليم يكون بنقل العلم بأي وسيلة من وسائل النقل، ولكن اكتساب الأخلاق لا يكون بمجرد معرفتها وتعلمها بل بوجوب التعود عليها والتخلق بها كما قال صلى الله عليه وسلم: [إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم] (رواه الدارقطني في الإفراد وصححه الألباني في صحيح الجامع 2328).

فلا بد للمربي أن يهيء من يربيهم على التعود على أخلاق الإسلام ولا يكتفي بتلقينها وتعليمها لهم.

8) التدرج في التعليم (تعليم صغار العلم قبل كباره):

من القواعد الهامة في التربية والتعليم أن يكـــون التعليم متـــدرجاً فيبـــدأ بصغار العلم قبل كباره، وبسهله قبل صعبه ومشـكله، قـال ابن عبـاس في تفسير قوله تعالى: {ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الناس وبما كنتم تدرسون} (آل عمران:79).

قال: مربين تعلمون الناس بصغار العلم قبل كباره..

9) التقويم المستمر:

من قواعد التربية التعليم أن يكـون التقـويم مسـتمراً ولو كـان في حـال الكـبر، فكل من وقع منه خطـأ، أو ارتكب منكـراً يجب تقويمه بـالتقويم المناسب فقد قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وهو سـيد المعلمين والمربين لأبي ذر رضي الله عنـه: [إنك امـرؤ فيك جاهليـة]!! لما رآه يعـير رجـلاً بأمه قـائلاً لـه: [يا ابن السـوداء]!! فقـال: يا رسـول الله على كـبر سني!! فقال: [نعم] (متفق عليه).

ووعظ رسـول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل مع حبه له، موعظة غضب فيها الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً له: [يا معـاذ أفتـان أنت!!] (متفق عليه).

وكل هـذا يـدل على أن الكبـير في الفضل أو السن يجب تنبيهه إذا خـالف شـيئاً من الحـق، وكـذلك غضب صـلى الله عليه وسـلم على عمر عنـدما خاصم الصديق وقال: [أما أنتم بتاركي لي صاحبي] (رواه البخاري).

10) تعليم الناس ما ينفعهم ويحتاجون إليه:

قال العلامة عبدالرحمن بن حسن رحمه اللـه: "وقد كـان شـيخنا المصـنف رحمه الله -يعني الإمام محمد بن عبدالوهاب- لا يحب أن يقـرأ على النـاس إلا ما ينفعهم في أصل دينهم وعبـاداتهم، ومعـاملاتهم مما لا غـنى لهم عن معرفته". (فتح المجيد ص/414).

وإذا سأل العامي عن أمور لا يحتاج إليها فإنه ينبغي للمعلم أن يفتح له بابـاً إلى ما يهمه. قـال الإمـام محمد بن عبـدالوهاب: "وينبغي للعـالم إذا سـأله العامي عما يحتاج إليه، أو سـأله عما غـيره أهـم منـه، أن يفتح له بابـاً إلى المهم، ولا يحقر عن التعليم من يظنه أبعد النـاس عنـه، ولا يسـتبعد فضل الله عليـه" (مؤلفـات الشـيخ: القسم الرابـع-التفسـير. سـورة يوسف ص/ 147-148).

11) تعليم الناس على قدر أفهامهم:

وينبغي للعالم أن يخاطب الناس كلاً على قدر فهمه..

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: "فينبغي للمعلم أن يعلم أن الإنسان على قدر فهمه، وإن كان ممن يقرأ القرآن، أو عرف أنه ذكي فيعلم أصل الـدين وأدلته والشـرك وأدلتـه، ويقـرأ عليه القـرآن ويجتهد أن يفهم القـرآن فهم قلب، وإن كـان رجلاً متوسـطاً ذكر له بعض هـذا، وإن كـان مثل غـالب الناس، ضعيف الفهم، فيصـرح له بحق الله على العبيـد، مثل ما ذكر النـبي صلى الله عليه وسلم على المسلم، وحق الأرحام، وحق الوالـدين، وأعظم من ذلك حق النبي صلى الله عليه وسلم" (الدرر السنية 1/98-99).

12) عدم تضييع الزمان في إبطال الشبه الواضحة البطلان:

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: "إن الشـبهة إذا كـانت واضـحة البطلان لا عذر لصاحبها فإن - معه في إبطالها تضييع للزمان وإتعـاب للحيـوان مع أن ذلك لا يردعه عن بدعته.. وكان السلف لا يخوضـون مع أهل الباطل في رد باطلهم عنهم". (مؤلفات الشيخ القسم الرابع-التفسير ص/92).

أما إذا كـانت الشـبهة قد أشـكلت على المتعلم أو النـاس واحتـاجوا إلى إبطالها وجب حينئذ على أهل العلم ردها وتفنيدها وإبطالها بـالحجج الدامغة لئلا تستقر في صدورهم فتورث الشك والإضطراب أو الحيرة والارتياب.

ب) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الميدان الثـاني من ميـادين الـدعوة إلى الله وهو من فروض الكفايات على الأمة. قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه اللـــه: "الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه، بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن".

ولكنه واجب عيني على أولى الأمر من المسلمين وهم الأمراء العلمـاء كما قال شيخ الإسلام أيضاً: "ويجب على كل أولي الأمر وهم علمـاء كل طائفة ومشـايخها أن يقومـوا على عـامتهم، ويـأمروهم بـالمعروف وينهـوهم عن المنكر" (رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص/40-41).

والمعروف: هو كل ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به.

والمنكـر: يعم كل ما كرهه الله ونهى عنه.

وهذه أهم قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

1) لا تأمر بمعروف ولا تنه عن منكر إلا بعد العلم بما تأمر به وتنهى عنه:

لا يجوز لمن يـأمر بـالمعروف أن يقـدم على ذلك إلا إذا علم أن ما يـأمر به هو من المعـــروف حقـــاً، ولا ينهى عن منكر إلا إذا علم أن ما ينهى عنه هو من المنكر.

قال شـيخ الإســلام ابن تيمية رحمه اللـه: "والله سـبحانه وتعـالى قد أمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: والأمر بالشيء مسبوق بمعرفته فمن لا يعلم المعـروف لا يمكنه الأمر بـه.. والنهي عن المنكر مسـبوق بمعرفته فمن لم يعلمه لا يمكنه النهي عنه" (التفسير الكبير 5/304).

وقال النووي رحمه الله: "ثم أنه إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة، والمحرمـات المشـهورة كالصـلاة والصـيام والزنـا، الخمر ونحوهـا، فكل المسلمين علماء بها.

وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، ومما يتعلق بالاجتهـاد لم يكن للعـوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء".

ثم العلمـاء إنما ينكـرون ما أجمع عليه أما المختلف فيه فلا إنكـار فيـه، لأن على أحد المذهبين: كل مجتهد مصـيب، وهـذا هو المختـار عند كثـيرين من المحققين أو أكثرهم.

وعلى المــذهب الآخــر: المصــيب واحــد، والمخطئ غــير متعين لنا والإثم مرفـوع عنـه، لكن إن ندبه -على جهة النصـيحة- إلى الخـروج من الخلاف، فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف، إذا لم يلزم منه إخلال بسنة، أو وقــوع في خلاف آخر.

وذكر القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي في كتابه الأحكام السلطانية خلافاً بين العلماء في أن من قلده السلطان الحسبة هل له أن يحمل الناس على مذهبه فيما اختلف فيه الفقهاء إذا كان المحتسب من أهل الاجتهاد، أم لا يغير ما كان على مذهب غيره.. والأصح أنه لا يغير لما ذكرناه.

ولم يزل الخلاف في الفروع بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين.. ولا ينكر محتسب ولا غيره، وكذلك قالوا: ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصاً، أو إجماعاً أو قياساً جلياً. والله أعلم.

2) اتخاذ إحدى مراتب الإنكار اتباعاً للحكمة والقدرة:

وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: [من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان].. (رواه مسلم).

فالإنكار باليد أعلى درجات الإنكار وهو (لأولي الأيدي والأبصار) أهل القوة والتمكن والقدرة فمن لم يستطع لسبب أو آخر تحول إلى الإنكار باللسان، ذماً للمنكر وأهله، وبياناً لفساده، وتحذيراً منه، فإن لم يستطع تحول إلى الإنكار بقلبه بغضاً للمنكر وأهله، ومفارقة لمجالسهم كما قال تعالى: {وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين} (الأنعام: 68).

ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل هو ثابت لآحاد المسلمين وعليه إجماع المسلمين فإن غير الولاة في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم، وهذا إجماع من الأمة على ذلك وأدلة القرآن والسنة شاهدة بذلك.." أ.هـ

3) وجوب اتباع المصالح الشرعية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومما يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يعلم المصالح والمفاسد الشرعية التي تترتب على أمره ونهيه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد.

فإن الأمر والنهي -وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة- فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأموراً به، بل يكون حراماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته.

لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، ولن تعوز النصوص من يكون خبيراً بدلالاتها على الأحكام.

ومن هذا الباب ترك النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن أبي سلول وأمثاله من أئمة النفاق والفجور، لما لهم من أعوان فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه، ولهذا لما خطب الناس في قضية الإفك بما خطبهم به، واعتذر عنه، وقال له سعد بن معاذ قوله الذي أحسن فيه، حمي له سعد بن عبادة، مع حسن إيمانه وصدقه - وتعصب لكلٍ منهم قبيلته حتى كادت تكون فتنة" (قاعدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص/47-48).

4) وجوب إخلاص النية والبعد عن الهوى:

يجب على من يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون عمله لله خالصاً، وأن يكون صواباً، وألا يتبع هواه، ويأمر أو ينهى لحظ نفسه، وذلك أن الضلال في الدين عظيم، ومن فقد الإخلاص، ولم يتحر الصواب أوقعه الشيطان في الهوى، ومن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: "واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات"

فإن أهل الكتاب اتبعوا أهواءهم فضلوا. قال تعالى عنهم {فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين} (القصص:50).

ولذلك نهى نبينا أن يتبع أهواء أهل الكتاب، قال تعالى: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير} (البقرة:120).

فاتباع الهوى هو الذي أفسد الديانات السابقة، وأوجد الفرقة بين أهل الدين الواحد، وهو الذي خرج به من خرج عن موجب الكتاب والسنة وسماهم علماء الإسلام أهل الأهواء..

فيجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون باعثه إخلاص النية، وعمله على الكتاب والسنة وأن يجانب الهوى، وإتباع الهوى هو أن يحب ويبغض بدافع من هواه لا إتباعاً للأمر والنهي.

5) الرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يجب أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر رفيقاً كما قال صلى الله عليه وسلم: [ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شانه] (رواه مسلم).

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: [إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف].

ولهذا قيل: [ليكن أمرك بالمعروف معروفاً ونهيك عن المنكر غير منكر] (رواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد).

هذا وينظر كذلك إلى الفصل الخاص بالصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعي في دعوته إلى الله..

إلى الله سبحانه وتعالى

1) معنى الوسيلة:

الوسيلة في أصل اللغة هي المنزلة عند الملك، والدرجة والقربة، وقال الجوهري: الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير،والجمع الوسل، والوسائل. (لسان العرب).

وتطلق في العرف والاستعمال الشائع على كل ما يتخذ وصولاً إلى غاية..

والمقصود بالوسيلة هنا: كل أمر وطريقة مشروعة وأسلوب وآلة يمكن اتخاذه وصولاً إلى نشر الدين، وتبليغه، وتعليمه، والدعوة إلى الإسلام.

2) حكم الوسيلة في الدعوة إلى الله:

كل وسيلة أمر بها الله سبحانه وتعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم أو وفق الله إليها المسلمون في أي عصر من عصورهم.. فهي وسيلة مشروعة ما لم يأت في الشرع ما يحرمها، فالأصل في هذه الوسائل الإباحة، وقد تجب الوسيلة إذا كانت مما لا يقوم الواجب إلا به كما هو مقرر في أصول الفقه (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)..

فإذا وجب قتال الكفار ودفعهم، ولم يمكن ذلك إلا بسلاح يمكن المسلمين من دفعهم وجب تحصيل هذا السلاح واستعماله..

وهكذا الأمر في رد الشبهات، وإنكار المنكرات و إبلاغ دين الله إلى العالمين، فكل وسيلة لم يأت الشرع بتحريمها بعينها، فهي مشروعة من أجل القيام بهذه الواجبات..

قال شيخنا عبدالعزيز بن باز حفظه الله: "ونظراً إلى انتشار الدعوة إلى المبادئ الهدامة وإلى الإلحاد، وإنكار رب العباد، وإنكار الرسالات، وإنكار الآخرة، وانتشار الدعوة النصرانية في الكثير من البلدان، وغير ذلك من الدعوات المضللة، نظراً إلى هذا فإن الدعوة إلى الله عز وجل اليوم أصبحت فرضاً عاماً وواجباً على جميع العلماء، وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام، فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان بالكتابة، والخطابة، والإذاعة، وبكل وسيلة استطاعوا، وأن لا يتقاعسوا عن ذلك أو يتكلوا على زيد أو عمرو، فإن الحاجة بل الضرورة ماسة اليوم إلى التعاون والاشتراك والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل ذلك لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله عز وجل، فوجب على أهل الإسلام أن يقابلوا هذا النشاط المضل، وهذا النشاط الملحد بنشاط إسلامي وبدعوة إسلامية على شتى المستويات، وبجميع الوسائل وبجميع الطرق الممكنة، وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدعوة إلى سبيله" (الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ص/18).

ويقول شيخنا محمد الصالح العثيمين : "ليس للوسائل حد شرعي فكل ما أدى إلى المقصود فهو مقصود، ما لم يكن منهياً عنه بعينه، فإن كان منهياً عنه بعينه فلا نقر به، فلو قال: أنا أريد أن أدعو شخصاً بالغناء والموسيقا لأنه يطرب لها ويستأنس بها وربما يكون هذا جذباً له فادعوه بالموسيقا والغناء هل نبيح له ذلك؟ لا لا يجوز أبداً، لكن إذا كانت وسيلة لم ينه عنها

ولها أثر فهذه لا بأس بها، فالوسائل غير المقاصد وليس من اللازم أن ينص الشرع على كل وسيلة بعينها، يقول هذه جائزة وهذه غير جائزة، لأن الوسائل لا حصر لها، ولا حد لها، فكل ما كان وسيلة لخير فهو خير" (لقاء الباب المفتوح 15/49).

3) حكم الوسائل التي تختلط فيها المصالح والمفاسد:

الوسائل التي تختلط فيها المصالح والمفاسد. كتولي الولايات في ظل الحكومات المعاصرة، والدخول إلى المجالس التشريعية في ظل الأنظمة المسماة بالديمقراطية، والدخول إلى الاتحادات والنقابات العمالية والمهنية، ونحو ذلك..

ينظر دائماً فيها إلى المصالح والمفاسد فإذا رجحت المصالح على المفاسد كان اتخاذ هذه الوسيلة مشروعاً وإذا ترجحت المفاسد تركت هذه الوسيلة، ولا شك أن تقدير المصالح والمفاسد إنما هو بميزان الشرع لا بميزان الهوى والمصالح الدنيوية.. ويختلف الحكم من بلد إلى بلد ومن وقت إلى آخر.

ولا يجوز تحريم وسيلة من هذه الوسائل بدعوى أن وسائل الدعوة لا بد وأن يكون قد جرى عليها عمل السلف الصالح.. فإن في كل عصر تتطور وسائل الناس ووسائل الاتصال بينهم كما تتطور أسلحة الحرب والدمار، ويجب أن يجابه العدو بالوسيلة التي تكافئ وسائله، وتدفع عدوانه عن المسلمين بما يندفع به، والحرب الإعلامية شأنها كالحرب العسكرية..

4) حكم الوسائل المحرمة:

وكل ما حرمه الله سبحانه وتعالى فلا يجوز استخدامه في الدعوة إلى الله، ولو أدى إلى نفع المسلمين، وذلك كالقصص المكذوب، والحكايات الملفقة والأحاديث الموضوعة للمبالغة في الترغيب والترهيب، فإن هذه الأساليب وإن كان تفيد أحياناً في توبة بعض العصاة، وهداية بعض الناس إلا أن هذا من الكذب الذي حرم الله أصله.

5) أعظم الوسائل في الدعوة إلى الله:

(1) تعلم القرآن وتعليمه ونشره:

أعظم وسيلة للدعوة إلى الله هي تعلم القرآن وتعليمه، ونشره، فهو الكتاب المعجز الذي لا يمحوه الماء وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة]!! (متفق عليه).

فكثرة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم إنما مرده إلى هذا القرآن الذي يقطع العذر، ويدمغ الباطل، ينفذ إلى القلوب ويدمع العين ويحيي موات القلوب، وينير البصائر. قال تعالى: {وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا.. وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله..} (الشورى:52).

فالعناية بكتاب الله حفظاً وفقهاً وتعليماً، ونشـراً وترجمة لمعانيه من أكـبر أسباب الهداية ونشر الإسلام في العالمين..

وقد أمرنا الله أن نجاهد به الكفـار فقـال تعـالى: {ولو شـئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً* فلا تطع الكـافرين وجاهـدهم به جهـاداً كبـيراً} (الفرقـان:51-52)..

(2) إعلاء منزلة الرســول صــلى الله عليه وســلم في الأمــة، ونشر كتب السنة:

الوسيلة الثانية من الوسـائل العظمى في الـدعوة إلى الله هي إعلاء منزلة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم في الأمـة، ونشر كتب السـنة، ورفعه ليكون هو الأسوة والقدوة لكل مسلم.

فلا يجوز أن يخلو بيت مسلم من أصل من الأصول الصحيحة لحديث رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وخاصة صـحيحي البخـاري ومسـلم اللـذين هما أصح كتابين بعد كتاب الله سبحانه وتعالى..

فالعناية بنشر صحيح السنة وتعليمها، والتفقه فيها، وتدريس سـيرة رسـول الله صلى الله عليه وسلم، وجعله ماثلاً في العيان أمام كل مسـلم ليأتسي به في حركاته وسكناته في إيمانه ويقينه وصبره، وجهاده، وعبادتـه، بل في سمته، وهديه، ومخرجه ومدخله..

هـذه العناية بالسـنة علمـاً ونشـراً هي من أبلغ وسـائل الـدعوة إلى الله سبحانه وتعالى..

(3) الإمام المسلم الداعي إلى الله:

قيـام الإمـام المسـلم بما أوصى به الله سـبحانه وتعـالى عليـه، والـدعوة.. والأمر بـالمعروف، والنهي عن المنكر من أعظم الوسـائل الـتي ينتشر بها الدين، ويتحقق بها أهـداف الرسـالة، كما قـال عثمـان بن عفـان رضي الله عنه : (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)..

ومن أجل ذلك جعل الله الخلافة في الأرض لمن يقـوم بهـذه المهمة فقـال جل وعلا: {الذين إن مكناهـم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمـروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور} (الحج:41).

(4) تجنيد الأمة كلها في الدعوة إلى الله:

الوسيلة العظمى الثانية بعد كتاب الله هي تجنيد الأمة كلها لتقوم بما فرض الله عليها في حمل رسالة الإسلام وتبليغها كما قـال تعـالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخـير ويـأمرون بـالمعروف وينهـون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} (آل عمران:104).

وقـال: {كنتم خـير أمة أخـرجت للنـاس تـأمرون بـالمعروف وتنهـون عن المنكر وتؤمنون بالله} (آل عمران:110).. وقال تعـالى:{يا أيها الـذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون* وجاهدوا في الله حق جهـاده هو اجتبـاكم وما جعل عليكم في الـدين من حـرج ملة أبيكم إبـراهيم هو سـماكم المسـلمين من قبل وفي هـذا ليكـون الرسـول شهيداً عليكم وتكونـوا شهــداء على النـاس فـأقيموا الصلاة وآتـوا الزكـاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير} (الحج:77-78).

وقال صلى الله عليه وسلم: [بلغوا عـني ولو آيـة] (رواه البخـاري).. وقـال صـلى الله عليه وسـلم أيضـاً : [نضر الله امـرءاً سـمع منا شـيئاً فبلغه كما سـمعه فـرب مبلغ أوعى من سـامع] (رواه أحمد والترمـذي وابن حبـان وصححه الألباني في الجامع 6764).

فيجب أن تهب الأمة بكاملها لنشر الـدين، وإبلاغ رسـالة الله للعـالمين، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

(5) العلماء العاملون المربون:

الوسيلة الرابعة العظيمة في الـدعوة إلى الله هي وجـود العلمـاء العـاملين المربين إذ هم حياة الأمة، ونورها وقادتها وأولو الأمر فيهـا. فالعناية بوجـود هؤلاء العلماء من أعظم ما ينفع أمة الإسلام.

والطريق إلى وجودهم يبدأ بتعليم النابهين والأذكياء من أطفـال المسـلمين بدءً بحفظ القرآن الكريم، ومتـون علـوم الإسـلام ثم تهيئة الجو المناسـب، لتفقههم، وزكاة نفوسهم، وتفـرغهم لعمل الـدعوة والتعليم، والتوجيـه، وقد عز سلفنا الصالح رضوان الله عليهم عندما كان للعلماء فيهم مكـانتهم فقد كانت الشعوب والعامة تسير في ركابهم، وتأتمر بأمرهم..

وترى أن سلطانهم أعز من سلطان الملـوك، وهـذا عبدالله بن المبـارك - رحمه الله- يدخل بغداد فينجفل الناس إليه وتقـول امـرأة لهـارون الرشـيد وقد رأت خروج بغـداد كلها لاسـتقباله : "هـذا والله الملك لا ملك هـارون" (البداية والنهاية 10/178).

(6) إحياء مهمة المسجد:

ومن الوسـائل الناجحة في الـدعوة إلى الله إحيـاء مهمة المسـجد، وذلك بالحث على الجمع والجماعات، والجلوس لقراءة القرآن ومدارسـته، وتعلم العلم وذكـر الله سبحانه، كما كان الشأن في مسجد رسـول الله صلى الله عليه وسلم ثم في المساجد التي أشرق فيها نور الإسلام، وأخرجت أجيـالاً من العلماء والدعاة في العصور الزاهـرة، كمسـاجد بغـداد أيـام العباسـيين التي قيل فيها: "من أراد أن يرى عز الإسلام فليصل الجمعة ببغداد"!!

وقـد حزر من يصـلون الجمعة فيها أيـام المنصـور فكـانوا نحـواً من خمسة آلاف ألف. أي خمسة ملايين..

إن مثل هذا المشهد وحده يملأ قلب المسلم عزاً بالإسـلام، ويكسر قلـوب أعـداء الله كما قـال الله في شـأن أصـحاب محمد صـلى الله عليه وسـلم: {ومثلهم في الإنجيل كـزرع أخـرج شـطأه فـآزره فاسـتغلظ فاسـتوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار} (الفتح:21)..

وقد خرَّج الحرم المكي والمسـجد النبـوي، والأزهـر، والزيتونة على الـدوام آلاف الآلاف من حملة العلم الشـرعي الـذين كـانوا نـور الأمة وعزهـا، ومجدها.

(7) إخراج الزكاة والصدقات، والاهتمام بأعمال البر والخير:

إخراج الزكاة، والصدقات، والاهتمام بأعمال الـبر، وعمل الخـير إلى جـانب كونها في ذاتها قربة عظيمة إلى اللـه، وأداءً للحق الـواجب في مـال الله

فهي من أعظم أسباب نشر الإسلام، والدعوة إلى الله وتثبيت المسـلمين، وتأليف القلوب على الإسلام..

(8) شهر رمضان شهر الدعوة إلى الله والهداية:

شهر رمضان شهر مبارك، وإذا كان الله سبحانه قد أوجب فيه الصوم، فإن هذا الشهر وما يكتنفه من أسباب الخير هو من أعظم شهور السنة بركة في الدعوة إلى الله وهداية العصاة، ففيه تصفد مردة الشياطين، وتفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، ويقرأ القرآن آناء الليل وأطراف النهار، ويجود فيه المسلمون الصالحون بصدقاتهم، ويشغل الصالحون نهارهم بالصوم وليلهم بالعبادة.. وكل ذلك يدفع في النهاية إلى توبة كثير من العصاة، وهذا الشهر فرصة عظيمة، يجب أن يغتنمها الدعاة في الدعوة إلى الله، وقد يكسبون من المهتدين مالا يحصلون على مثله طيلة العام..

(9) الحج والدعوة إلى الله:

الحج من الوسائل العظمى في الدعوة إلى الله، فهو جمع لجمهور عظيم من المسلمين من كل فج عميق إلى مكان واحد يؤدون عبادة واحدة، ويذكرون الله بأذكار هي كليات الإسلام وأصوله: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك..

وهذه التلبية تضمنت غاية الدين وهدفه وعقيدته العظمى، ولا شك أن من فهم هذه التلبية وعلم معناها واعتقدها، وعمل بمقتضاها فهم أصل الإسلام الأصيل: [من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة] (رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه، وأبو نعيم في الحلية وصححه الألباني في الجامع 6433).

وقد كان الحج وما زال من أعظم الوسائل في التعريف بالإسلام وتوحيد الأمة، وجمع الكلمة، ونشر الدين كما قال تعالى: {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم} (الحج:27-28).

وتعلم الإسلام، والتفقه في الدين، وجمع كلمة المسلمين من أعظم منافع الحج.

(10) الجماعات الدعوية:

جماعة الدعوة وسيلة عظيمة للدعوة إلى الله فهي من باب التعاون على البر والتقوى، ولا شك أن الدعوة إلى الله ونشر دينه، وإعلاء كلمته سبحانه وتعالى هو أعظم البر والتقوى فإذا قامت هذه الجماعة الدعوية على الكتاب والسنة، والنصح لكل مسلم، وأن تقول الحق لا تخاف في الله لومة لائم، ونظمت صفوفها، ووحدت كلمتها، وجعلت جهادها نصراً للدين، وإعلاءً لكلمة الله في الأرض، وأعزها الله ونصرها كما قال تعالى : {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} (الحج:40).

ولا شك أن جهود جماعة مؤتلفة في الدعوة إلى الله خير من جهود أعدادهم متفرقين..

(11) المؤسسات التعليمية:

المؤسسات التعليمية وسيلة عظيمة في الدعوة إلى الله (فالكتّاب الصغير، ومركز تحفيظ القرآن، والمدرسة، والجامعة، والمعهد) هذه

المؤسسات التعليمية إذا تيسر فيها المنهج الدراسي الجيد لدراسة الإسلام، والمعلمون المخلصون العالمون المربون، والنظام الجيد، فإن هذا يخرج أجيالاً من حملة الدين وعلماء الملة، وقادة الأمة.

(12) الآلات الإعلامية:

مكن الله بالعلم الحديث الإنسان من استخدام آلات ووسائل بالغة التأثير يمكن للإنسان بواسطتها أن يسمع الألوف المؤلفة في وقت واحد، وأن يقرأ الملايين من الناس مقالة رجل واحد في وقت واحد.. فجهاز التلفاز الذي يستطيع أن يراه أكثر من مائة مليون في وقت واحد بل عدة مئات من الملايين، والصحف السيارة التي تطبع في أماكن عديدة من العالم في وقت واحد، وجهاز المذياع الذي تسمع منه الرسالة الواحدة في كل أرجاء الدنيا في وقت واحد!!

إن هذه الآلات الضخمة أصبحت بالغة التأثير.. ولا مجال لمقارنتها مع الوسائل القديمة حيث كان يعتمد الخطيب أو المتكلم على صوته أو مكبر للصوت يسمع بضعة مئات أو آلاف من الناس.

أما اليوم فيستطيع نصف سكان الأرض وأكثر من ذلك أن يسمعوا رجلاً واحداً يخطبهم أو يعظهم أو يذكرهم، أو ينشر الشر والفساد بينهم.

وهذه الآلات الخطيرة أصبحت في الحرب الإعلامية تفعل فعل الأسلحة الخطيرة، وقد شبه التلفزيون بالقنبلة الذرية.. فإن خطره في كل بيت، بل ويدخل إلى الغرف المغلقة، ويهجم على العوائق وذوات الخدور، فالرسالة الإعلامية الفاسدة تدمر الرجال والنساء والأطفال..

ولا سبيل إلى مقاومة هذا الشر العظيم إلا بما يماثل ذلك من استخدام هذه الآلات.. فكما لا يمكن مقاومة عدو يستعمل سلاحاً فتاكاً إلا بمثل سلاحه.. فكذلك في الحرب العقائدية لا بد من وسائل تكافئ وسائل الخصوم، وإلا كانت الهزيمة والضياع.

(13) الوسائل في الدعوة إلى الله كثيرة جداً:

ولا شك أن الوسائل التي يمكن أن يبلغ بها دين الله، وينشر بواسطتها الخير كثيرة جداً..

فالاتصال الفردي وسيلة عظيمة، وقد كان أول وسيلة دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل خيار أصحابه في الإسلام عن طريقها فقد آمن أبو بكر رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه، والسيدة خديجة رضي الله عنها، وزيد بن حارثة رضي الله عنه، لما عرض النبي عليهم الإسلام، قبل أن يسمعوا خطبة أو يحضروا درساً، وآمن بدعوة أبي بكر (الفردية) عدد كبير جداً من الصحابة. (وهذا في الاتصال الفردي).

ومن الوسائل الدعوة إلى الطعام، واستخدام الولاء القبلي كما فعله سعد بن عبادة، وأسيد بن خضير، فقد دعا كل منهما قبيلته -وهو شيخها- فدخلوا جميعاً في الإسلام في ليلة واحدة.

ومن الوسائل النافعة حمل الدعوة مع التجارة فقد دخل بدعوة التجار المسلمين أمم وشعوب كثيرة، وكذلك السياحة، والمراسلات، والمناظرات، واستغلال المناسبات الاجتماعية كحفلات الزواج، والجنائز.. هذا عدا عن الدروس العلمية، والخطابة، وإنشاء الشعر والأدب..

والخلاصة: أنه يمكن لكل أحد أن يدعو إلى الله وأن يبلغ الحق وينشر الخير حــتى ولو كــان ممن لا يســتطيع أن يحفظ العلم ويؤديه كما ســمعه، فإنه يســتطيع أن ينشر الكتـاب، والشـريط ويـدل على الخـير، وأن يكـثر سـواد الدعاة إلى الله بمصاحبتهم فضلاً عما ينفعه الله به من صحبتهم..

* خاتمة:

هــــذا بحمد الله ما تيسر لي جمعه في أصـــــول وقواعد الــــدعوة إلى الله سبحانه وتعالى سائلاً جل وعلا أن يوفق المسلمين إلى القيام بهذا الواجب العظيم الذي جعلهم الله به خير أمة أخرجت للناس قال تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}.

ونسأله تعالى أن يسلكنا في عداد الداعين إليه والمجاهدين في سبيله وأن يجعل عملنا كله له خالصاً.

وكـان الفـراغ منه في الثـاني من محـرم الحـرام لعـام 1417 من هجـرة المصطفى عليه السلام.

****

****